أطفـــال المـــاء

The Water-Babies

٥ – بين الاطفـــال

أَظُنُّكَ لَمْ تَنْسَ الْحَسْنَاءَ الصَّغِيرَةَ الْبَيْضَاءَ ، الَّتِي رَآهَا تُومْ ، رَاقِدَةً عَلَى سَرِيرِهَا ، فِي قَصْرِ وَالِدِهَا ، عِنْدَ مَا كَانَ يُنَظِّفُ الْمَدَاخِنَ ؛ فَقَدْ حَدَثَ أَنْ جَاءَتْ مَعَ أَهْلِهَا ، لِلنُّزْهَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَذَاتَ يَوْمٍ ، خَرَجَتِ الْحَسْنَاءُ الصَّغِيرَةُ ، إِيلِي ، مَعَ مُعَلِّمِهَا ، الَّذِي سَارَ بِهَا إِلَى الشَّاطِئِ ؛ لِيُرِيَهَا مَا بَيْنَ الصُّخُورِ مِنْ عَجَائِبَ ، وَكَانَ تُومْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، يَلْعَبُ مُخْتَفِيًا بَيْنَ تِلْكَ الصُّخُورِ .

وَكَانَتْ إِيلِي ، لِحَدَاثَةِ سِنِّهَا ، تُفَضِّلُ اللَّعِبَ مَعَ الْأَطْفَالِ ، عَنْ سَمَاعِ حَدِيثِ الصُّخُورِ ، وَعَجَائِبِ الْبِحَارِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَتْ لِمُعَلِّمِهَا : « كَمْ يَكُونُ جَمِيلًا لَوْ وَجَدْنَا هُنَا بَعْضَ أَطْفَالِ الْمَاءِ ! » وَلَكِنَّ الاسْتَاذَ قَالَ : إِنَّهُ لَا يَعْتَقِدُ فِي شَيْءٍ اسْمُهُ أَطْفَالُ الْمَاءِ . ثُمَّ أَلْقَى شَبَكَتَهُ وَسَحَبَهَا ، فَإِذَا بِهِ قَدْ صَادَ تُومْ ، فَدُهِشَتْ إِيلِي ، وَصَرَخَتْ قَائِلَةً : « هَا هُوَ طِفْلٌ مِنْ أَطْفَالِ الْمَاءِ ! » وَتَحَيَّرَ الاسْتَاذُ بِمَاذَا يُجِيبُ ، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي الشَّبَكَةِ مُحَاوِلًا إِمْسَاكَ تُومْ ، وَلَكِنَّ تُومْ عَضَّهُ ، ثُمَّ قَفَزَ فِي الْمَاءِ ، تَارِكًا الاسْتَاذَ يَصْرُخُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ

ولكن توم عضه ثم قفز فى الماء

وَقَفَزَتْ إِيلِي وَرَاءَ تُومْ ، مُنْتَقِلَةً مِنْ صَخْرَةٍ إِلَى أُخْرَى ، وَلَكِنَّهَا عَبَثًا حَاوَلَتْ

إدراكه . وفى أثناء ذلك زلت قدمها ، وسقطت ، فاصطدمت رأسها بالصخر ، وأغمى عليها ، فحملها الاستاذ بين ذراعيه إلى البيت ، وارقدها فى سريرها .

وفى ليلة مقمرة ، وكان قد مضى أسبوع على تلك الحادثة ، أقبلت عليها من النافذة ملكات صغيرات طائرات ، وقدمن لها زوجا من الاجنحة الجميلة ، ففرحت بهما ، وألبستهما ثم طارت مع الملكات من خلال النافذة ، فوق الاراضى . والبحار ، والسحب ، وانقطعت اخبارها .

أنيت وجد الولدان من الاطفال يلعبون

أما توم ، فقد أسرع هاربا من شكة الصياد ، وفى أطريقه التقى بصفل من أطفال الماء ، ففرح كل منهما بصاحبه ، وتعانقا ، وأقبل عليه سائر الأطفال ، يضحكون ، ويهللون ، ويتعانقون ، فلما علموا أن توم رفيق جديد ، عانقوه ، وقبلوه ، وأخذوا يرقصون حوله ، مرحبين به ، ثم اصطحبوه إلى مقرهم فى

اقبلت عليها من النافذة ملكات صغيرات ....

الجزيرة حيث وجد ألوفا من الاطفال ، يلعبون ويمرحون .

وكان فى استطاعة توم أن يعيش بين هؤلاء الأطفال ، سعيدا هانئا مثلهم ، لكنه كان شكسا شريرا ، يميل إلى معاكسة كل ما يصادفه من حيوانات البحر ، فكان يزعج المرجان فى مرقده ، ويطارد أبا لمنبو فى أثناء

رَاحَتِهِ ، وَيَقْذِفُ الْحَصَى فِي أَفْوَاهِ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ : كُلَّمَا فَتَحَتْ أَفْوَاهَهَا تَنْتَظِرُ الْغِذَاءَ ، وَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ إِخْوَانُهُ الْأَطْفَالُ ، نَصَحُوهُ قَائِلِينَ : « حَاذِرْ أَنْ تَرَاكَ مَلِكَةُ الْعِقَابِ ، فَهِيَ آتِيَةٌ عَمَّا قَرِيبٍ »! وَلٰكِنَّ تُومْ لَمْ يَعْبَأْ بِنَصِيحَتِهِمْ .

وَفِي صَبَاحِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، جَاءَتْ مَلِكَةُ الْعِقَابِ مُبَكِّرَةً ، وَكَانَتْ تَرْتَدِي (طَاقِيَةً) سَوْدَاءَ ، وَرِدَاءً أَسْوَدَ ، وَتَضَعُ عَلَى أَنْفِهَا النَّظَّارَ

مَلِكَةُ الْعِقَابِ

الْمُقَوَّسَ مِنْظَارًا أَخْضَرَ اللَّوْنِ ، فَلَمَّا رَآهَا الْأَطْفَالُ ، وَقَفُوا جَمِيعًا فِي صُفُوفٍ مُنْتَظِمَةٍ ، وَكَانَتْ دَمِيمَةَ الْخِلْقَةِ ، مِمَّا أَثَّرَ فِي تُومْ الْمَيْلَ إِلَى مُحَاكَمَتِهَا وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ لِسَانَهُ لَهَا ، وَإِذَا بِهِ يَرَى تَحْتَ إِبْطِهَا عَصًا مِنَ الْخَيْزُرَانِ ، فَأَسْرَعَ إِلَى صُفُوفِ إِخْوَانِهِ ، وَوَقَفَ مِنْهُمْ فِي أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ . وَمَرَّتْ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَكَانَتْ حَرَكَاتُهَا تَدُلُّ عَلَى رِضَائِهَا عَنْهُمْ ، وَأَخَذَتْ تُوَزِّعُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَلْوَى الْبَحْرِ مَا لَذَّ وَطَابَ ، مِنْ كَعْكٍ ، وَتُفَّاحٍ ، وَبُرْتُقَالٍ ، وَعِنَبٍ ، وَأَعْطَتْ أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا ، مُثَلَّجَاتٍ مَصْنُوعَةً مِنْ لَبَنِ أَبْقَارِ الْبَحْرِ .

وَكَانَ تُومْ يُرَاقِبُهَا فِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ ، وَلُعَابُهُ يَسِيلُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْحَلْوَى ، حَتَّى جَاءَ دَوْرُهُ ، فَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَيْهِ ، وَبَيْنَ أَصَابِعِهَا شَيْءٌ لَمْ يَتَبَيَّنْهُ ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَفْتَحَ فَاهُ ، ثُمَّ قَذَفَتْهُ فِي فَمِهِ بِحَصَاةٍ مِنْ حَصَى الْبَحْرِ ، وَكَانَتْ بَارِدَةً جَامِدَةً . فَآلَمَتْهُ ، فَصَرَخَ فِي وَجْهِهَا قَائِلًا : « إِنَّكِ امْرَأَةٌ قَاسِيَةٌ ! ! » فَأَجَابَتْهُ : « وَأَنْتَ كَذٰلِكَ طِفْلٌ قَاسٍ . أَلَا تَذْكُرُ الْحَصَى الَّذِي كُنْتَ تَقْذِفُ بِهِ فِي أَفْوَاهِ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ الْمِسْكِينَةِ ؟ إِنِّي أُجَازِي كُلَّ امْرِئٍ بِمِثْلِ مَا يَفْعَلُ » . ثُمَّ قَالَتْ « إِنِّي أُقَبِّحُ مَلِكَاتِ الْعَالَمِ مَنْظَرًا ، وَسَأَبْقَى عَلَى هٰذَا الْقُبْحِ ، حَتَّى تُصْبِحَ أَخْلَاقُ النَّاسِ جَمِيعًا كَمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ ، وَحِينَئِذٍ أُصْبِحُ جَمِيلَةً كَأُخْتِي ، مَلِكَةِ الثَّوَابِ ، أَجْمَلِ مَلِكَاتِ الْعَالَمِ ، وَسَتَرَاهَا يَوْمَ الْأَحَدِ : فَلَعَلَّهَا تُصْلِحُ مِنْ شَأْنِكَ . »